

كلمة رئيسة قسم المؤتمرات في الإسكوا  
في اليوم العالمي للغة العربية  
بيروت، 14 كانون الأول/ديسمبر 2018

أصحاب المعالي والسعادة،  
الحضور الكريم،

عندما أتحدث بها وعنها تملاني سكينة قد أجيد الشعور بها ولا أعد بأن أجيد روايتها.

وكأنني أستعين باللغة العربية مرة بعد، على كثرة الهموم والأولويات، على الصمت والضجيج، على الحلم والجرح. تنهمر حروفها قلقة أو فرحة لا يهم، أخالني أكتبها، فإذا هي تكتبني، سطرًا سطرًا، على عمري الورق.

أستحضرها لأنها تذكر وتنذر وتوقظ وتنقذ. ولا أقصد من هذه الكلمات أن أبني إيقاعًا أو افتعل الغزارة في الألفاظ، ولو إن ذلك يُحسب للغة العربية ثراءً.

تذكر بأن الجذور لا تنتهي هنا بل ممتدة إلى الآتي من الأيام، "عيني على وطن جايي شو بدّي باللي راح"، يقول الأخوين رحباني. تنذر من التعثر إذا تحول من طبيعي إلى طبيعة. توقظ إذ تكسر الصمت والضجيج معاً، بكلمة بنبرة بصيغته، تكتب لأفراد حضوراً في حضرة الغياب، وقد أصاب محمود درويش. تنقذ، فالخلاص، يقول ديستوفسكي، بالجمال، ويشاطره كثيرون من أهل الأدب والقلم والفكر هذه الرؤية.

الحضور الكريم،

في يوم اللغة العربية، لا بل كل يوم، قلب الحدث ليس ساحة في مدينة غارقة في القدم، ولا اختراعاً يهدد بتغيير وجه البشرية في مدينة عائمة على الحداثة، ولا مهرجاناً من الأشكال والألوان، ولا كارثة من صنع الطبيعة أو الإنسان، بل كل هذا، وقد لبّي عطش الحروف إلى المعنى، على حد تعبير محمود درويش، وأزهر شعراً ونثراً، حاملاً الزمان والمكان إلى حيث لا حدود.

في الشعر العربي، قديمه وحديثه، قلقت الحروف بحثاً عن صورة فكانت قصائد انهمرت مدناً من قيم وحضارات، من ورود وشعراء، مدن لكل منها حكاية خطتها ريشة شاعر، فطارت بصوت فيروز، قائلة "انتمائي إلى المدن العربية سبق الحكيم بكثير".

وفي النثر العربي، قلقت الحروف، مرة تلو مرة، فهامت في شوارع مكتظة بالمتناقضات، جوع وتخمة، فقر وثراء، جهل وعلم، عنف وتوق إلى السلام، في روايات هجرت مكانها والزمان وأصبحت من كل مكان وزمان. من لا يذكر رغيف توفيق يوسف عواد، والرغيف إلى اليوم قضية؛ من لا يذكر طيور أيلول وموسم الهجرة إلى الشمال لإيملي نصرالله والطبيب صالح، والهجرة موضوع اليوم؛ من لا يذكر كروان طه حسين، وصدى دعائه يتردد إلى اليوم مدوياً؛ وقاسم أمين وقضية المرأة؛ وغيرهم كثير، تركوا روائع تستمطر المآسي والوقائع نقاطاً من جمال، فيصبح الجمال همّاً والرواية أو الأثر الأدبي المكان الوحيد الذي تحلو فيه قراءة الحلم منكسراً.



الأمم المتحدة  
الاسكوا  
ESCWA

الحفل الكريم،

تهتز الأمم عندما ينكسر قلم من تلك القلّة التي تتقن الشغف باللّغة وتتقن لعبتها. وكأنّ يصيبها هلع. وهي على حق. فعندما يعلو منسوب الجنون من يقول للأمة: مهلاً لا عليك. حسبك في تراثك الإنساني المكتوب طريق أمان الى المستقبل، لك في مدينة غارقة في القدم، وتطلع إلى غدٍ، ألف سبب وسبب للسمود والمثابرة، لك في لغتك، العربية، نافذة على الأروع.

اليوم نستعيد اللّغة العربية شعراً ونثراً لدقائق، لن تُشفي ضمّاً الحروف إلى الصورة.

نكتبها إملاءً مبحرين، ولو لبرهة، عكس أهواء التواصل الاجتماعي، الذي لم يعرفها أنيقة مناسبة.

نعيد اكتشافها في أسئلة كثيرة وأجوبة أكثر، ترافقنا إلى خارج هذه القاعة .

ونفترق، على أمل تجدد اللقاء حول اللّغة، في كنف منظمة أخذت على عاتقها التنوع اللغوي، لتروي ضمّاً العالم الى واقع التنوع الثقافي والإنساني والفكري، يصنعُ هوية لغد السلام .

اسمحوا لي أن أنهي على ثقة في أن لغة ميخائيل نعيمة، الذي كتب بها "ما أضيّق فكري إن لم يتسع لكل فكر،" هي حقاً لغة لكل عصر. فيها ما يصلح رؤية، دستوراً، بل أقول خشبة خلاص .

شكراً.